سيف فى هباء (١)

فيم الشكاةُ من الأحداثِ والنوَبِ ... ولسن يعرفن معنى اللوم والغضبِ ؟!
لو اتّصفن بما فى الحيِّ من خلقٍ ... لكُنَّ أحرصَ من حيٍّ على الغلبِ
لا تشكونّ لمن تبغى معونته ... فالشكوُ بئس نصيرُ الحازم الأربِ
علاج نفسك كتمانُ الهموم بها ... وأعضل الداء داء العلم بالكرَبِ
ان الحياة لحربٌ عجزُ عاجزها ... أردى من العجز يوم النأر والطلبِ
لو لم يكن طبعنا فيها تفاضلنا ... كان العمى كالهدى والصُّفرُ كالذهبِ
ن المودّات صرن اليوم أسلحة ... لمن يريد قفول الغالب الشغبِ (٢)
وشيمة الغدر فى الانسان باقية ... لو أنه فى جنانٍ بالخلود حُبى
ما زلت أطلب دنيا همها نصبى ... حتى ذبلتُ ذبولَ الغصن ذى النجب (٣)
ومن مساوىءِ هذا العصر أن له ... عيناً تريه مكان الرأس فى الذنبِ
تناعبت فيه غربانٌ أمدَّ لها ... أن السميعَ قريبُ العهد بالخربِ
وللزوائفِ فيه المجد مكتسبٌ ... والخالص المحض ثاوٍ غير مكتسبِ
عمى صريحٌ ولا عين يخال بها ... ان الضحى كالدجى والنمل كالشُّهُبِ

---

(١) من قول المتنبي

وما فكرت قبلك فى محالٍ ... ولا جربت سيفى فى هباءِ

(٢) الشَّغِب بكسر الغين : المشاغب (٣) النجب حلمات فى الغصن ينبت منها الورق

انّا رُزينا بأفاكين قد خلعوا ثوب النبوغ على الأخشاب والنُّصُبِ
نوْكَى قد ائتمروا بالشعر فانتظموا إلباً ، ونادوا له بالويل والحرَبِ
بغوا لكى يهدموا روحاً مخلدةً أعلى وأبقى على الأحقابِ والعُقبِ
راموا القريض فلما أخفقوا حملوا على القريض وهذا أعجبُ العجبِ
قالوا : الجديد ! فقلت القوم فى لغطٍ وعازبُ الفكر ما ألقاك فى العطبِ

هاتوا الدليـل ! فما كلُّ الجـديد بذى ... نفع ، ولا كل عادىٍّ بمجتنبِ (١)
وطلقوا اللفظ لفظ العرب والنمسوا ... لفظاً كدمدمةِ (الوابور) فى الرحَبِ
واللهُ والحبُّ موجودان من قدمِ ... فجددوا ثم صيدوا الباز بالخرَبِ (٢)
ان السموات قد طال الزمان بها ... فكيف جئتم ولم تقلب على عقبِ
بل ابتداعاً وافصاحاً وتعليةً ... اذا بنيتم على الماضى من الحقبِ
قديم أصلٍ ولا مستحدث عرضٌ ... وأين نفسىَ من أثوابىَ القشبِ
وجدة الكون أبقى من مظاهره ... مهما تراوحن بين الخلق والشجبِ (٣)
ولو تقادم شىءٌ فى حقيقته ... لما استجدَّ باجهادٍ ولا دأبِ
أين اليراع الذى يجرى بلا عنتٍ ... كالشمس تجرى بلا منٍّ ولا صخبِ ؟
أين الصحائف تجرى فى طرائقها ... سوابق الفضل والابداع والذربِ ؟ (٤)
شرُّ المناظر وجه أنت مبغضه ... وشر رأييك ما أغواك بالكذبِ
وَغْبٌ يريد اجتنابى خوف معرفتى ... والحضرمُ الفجُّ يخشى جانب العنبِ (٥)
لئن خملتُ فتبرٌ فوقه طبقٌ ... وإن عُرِفتُ فشعرى حليةُ اللببِ
شخصٌ يلوح بلا طبع يمازُ به ... كأنما هو مخلوقٌ بلا عصبِ
مهوَّم الرأس مرخاةٌ ترائبُه ... كأن ثوبيه قد لِيقا على خشبِ
كأيّل السهل أمسى قد تقاذفه ... خوفٌ من الورد أو كالثور ذى الغببِ (٦)
أعياه شعرى فلاقى الويل من كمدٍ ... إن الحسود لفى ذلٍّ وفى تعبِ
يرنو بعينين عن خبثٍ وسيئةٍ ... مصفرَّتين كعينىْ أسودٍ سربِ

---

(١) العادىّ القديم (٢) الخرَب ذكر الحبارَى وهو طائر ضعيف
(٣) الخلق : التكوين . والشجب : الهلاك والفناء (٤) الذرب : الحدة والمضاء
(٥) الوغب : الاحمق (٦) الغبب : اللحم المتدلى تحت الحنك .

يهجّنُ القول صوتاً غير ذى نغم ... كما يكرُّ سِقاءُ البئر ذى الكربِ(١)
وشيمةُ الشاعر الشادى تَطرُّبُهُ ... للمرسلات مع التقريب والخببِ
ان الأمور لفى التعقيد موضعُها ... فما المجىءُ بذا التعقيد والنصَبِ !
مَن لم يكن لبيان القول ملتمساً ... لم يُحسِنِ القول فى شىءٍ ولم يُصِبِ
من أىِّ غارٍ خرجتَ الأمس منجرداً ... فجئت تبغى منالَ الشعرِ بالكتبِ
بل ما فعلتَ الى أن صرت محتجباً ... بحاجب نِدِّ عمٍّ منك أو كأبِ ؟
قد كان يأمل لو أضحى بمنزلةٍ ... لما رآك فلم يظفرْ ولم يُحَبِ
والعبد فى العسر مثل اليسر طينتــه ... أهل العقوق وأهل الظنِّ والريبِ
لا تحسبَنْ فى لئيمٍ نخوةً أبداً ... فحاطب الليل يلقى شرَّ محتطبِ
مصاحب الحر حرٌّ فى شمــائله ... وصاحب العبد عبــد النفس والحسبِ
وخدمة العبد كربٌ عند سيِّده ... فكيف بالعبد يدعى قدوة الأدبِ !
يا عبدُ إلاَّ تدعْ غبنى تَشِطْ هدراً ... فى خاطرٍ كقمارِ البحر ذى العَبَبِ(٢)
مستوبلٌ مثل ريب الدهر وطأتُه ... فكل راقٍ به هاوٍ إلى صبَبِ(٣)
أكسو اللئيم شواظاً من جهنمه ... وألبس البرَّ ثوب الروض ذى الرَّبِ(٤)

حبيب عوض الفيومى

---

(١) الكرب : حبل يربط بالدلو (٢) شاط : هلك ، والعبب : الموج .
(٣) الصبب : الانحدار (٤) الربب : كثرة النبت والتفافه .

فى الأزبكية

النظرة المفسرة !

فى (الأزبكيّـه) والنسيمُ عليـلُ والجوُّ وضّاحُ الجبـينِ صقيلُ
ينساب حُلمُ العيد فى أثنائه وكأن خفق نسيمه تهليـلُ
وكأنه خدٌّ أسيلٌ ، رَيِّقٌ نضرٌ ، وَرجْعُ نسيمه تقبيلُ !
وكأنّ حالية العذارى أمّلتْ ورنت اليـه ، فزانه التأميـلُ !
من حسنها ودلالهـا وأريجهـا صُورٌ ترف خِلاله وشكولُ
والزهر فوق المـاء مثل أوانس فى الماء عاريةٍ عليـه تجولُ
يبدو جمـال الطُّهر فى تـكوينـه ما تمَّ إغرالهُ ولا تضليلُ
وعلى حفافيه الزهورُ كأنها متفرجون على الضفاف مثولُ !
والمـاء تـكنفه الغصون كأنه طفل بأيدى الحانيات عليـلُ !
سرحتُ طرفى والفؤاذ موزّع رانت عليـه بلادةٌ وذهولُ
ووقفت أبحث عن معانى ما أرى والشك يطغى ، واليقين ضئيلُ
أترى الجمال حقيقة فيما أرى أم ذاك وهمُ العين والتخييلُ ؟!

« • »

حى بدا متمايلاً فى مشيهِ مَلكٌ تُدلّلُه الحياةُ جميلُ !
متخايلا كتخايل الطاووس ، فى زهوٍ يداعب عطفه فيميـلُ !
محض الأنوثة فى معاطف قدّه وعلى . حُلاه ترجُّلٌ معسولُ
فى كل جارحـةٍ له يدعو الورى للحب والفن الجميل رسولُ
يمشى (ملاك الفن) فى آثاره متلمظاً منـه اللعاب يسيلُ
ففهمت ما أرَجُ الزهور وحسنها وعـلام تلعب بالغصون قبولُ !
فـكأنمـا مرّ الطبيعة مشكلٌ وكأنه التفسيرُ والتعليلُ !

« ٠ »

يا أنتِ! يا مَن لست أدرى ما اسمها ! غالت فؤادى من فتونكِ غولُ
فسّرتِ لى معنى الحياة بنظرةٍ ثَنّى يُبِنْ لىَ غيبُها المجهولُ
لو جئتُ مصرَ لها فحسْبُ لقد كفى نظرٌ الى سرّ الوجود عجولُ
ماذا بمصرَ ؟ وفى محاجركِ انطوت أهرامها فى قدسها والنيلُ !

« ٠ »

ويلى على شفتيكِ ! لو لىَ لثمةً يَنجاب عنها الوجدُ وهو فتيلُ !
أحيا شجاعاً لا أبالى بَعدَها سيّان تقصرُ مدتى وتطولُ
تبقى حلاوتها على شفتى ، اذا أخذت عظامى فى التراب تحولُ !
واذا صَليتُ لظى - ولا أُصليتُها - هدأت بها النيران وهى تصولُ
واذا احتوتنى الخُلد زاد نعيمَها بَردٌ على شفتىَّ ليس يزولُ
تترشف الحورُ الحسانُ مكانها منى ، ولا يشفى لهن غليلُ !

« ٠ »

أوّاه للفنّان عَفَّ إزارُهُ ! كم ذا يذوب فؤادُه المتبولُ !
ظمآن ، والماء المثلّج دونه ملء الكؤوس ، وما اليه سبيلُ !
تتبع التقوى خطى أقدامه وكأنما هو وحده المسئولُ
وتراقب الأخلاقُ لحظَ جفونه وحسابها عند (الضمير) طويلُ !

على أحمد باكثير

ظلال الضنى

أغضبَ الناسَ أن أشحْتُ عن النو ... ر ، وانى أفضْتُ من عَبَراتى
واجتويتُ المياهَ والزَّهرَ البا ... سمَ ، والطيرَ ، والجمالَ الموانى
والشروقَ البهيجَ ، والقمرَ الحا ... لمَ ، والسُّحْبَ ، والتِّلالَ النوانى
والجمالَ المُشاعَ حيثُ رمى الطَّرْ ... فُ ، وفيما انتهى من النغماتِ
والجمالَ الخبيءَ يدركه الشا ... عرُ فيما يُحسُّ من خلجاتِ
أنكروا مدمعى العزيزَ ، ونَوْحى ... وأنينى لضيعتى وفواتى !
لم أقصِّرْ ، وانما أفِنَ الجَدْ ... دُ فأوْدَى بمنتهى رغباتى
ثم لما غدوتُ يلفحُنى الهمْ ... مُ فتعوى لمحنتى حَسَراتى
نُحتُ ما نُحتُ من صميم فؤادى ... وابتذلتُ العَصِىَّ من دمعاتى
وانتهى مدمعى ، فقدمتُ قلبى ... فى قرابينَ لم تُقدَّمْ لذاتِ
واجتويتُ السعودَ ، لكن برغمى ... ثم أمسى برغبتى فى انقلاتِ !
إذ كشفتُ الحياة فى منتَيْها ... ثم روَّيتُ بالحيـــاة موانى
واستمعتُ الغريدَ من طىِّ نفسى ... واشتممتُ العبيرَ من خطراتى
ثم غُيِّبْتُ فى مخارف هـذا الـ ... كوْنِ تذكو بجانبى نفحاتى !
والتمستُ الطريقَ فى ظُلَمِ الغيـ ... ـبِ التماس الطريقِ فى الضَّحواتِ
واجتليتُ المنى على ظُلَلِ الآ لا ... م كالحُلْم فى عيون الغُفاةِ
واستمعتُ النداءَ يخفقُ حولى ... خافقَ الفيض فى قلوب الهُداةِ
كنتُ فى رحْلةِ ألذّ من الصفوِ ، وأشهى من ابتسام الغداةِ
عُدْتُ منها وقد رأيتُ حياةَ الخلقِ ضرباً من افتتان الغُلاةِ
لا الشقاء الخصيب قسط بريئيْها وليس الهنـاء قسط الجناةِ
الهنا والشقاء : ذاك اعتبارٌ ... ما تشأ منهما تُصِبْ فى الحياةِ

والهنا والشقاء صوتٌ تهادَى ثم قد ذابَ فى رياح الفلاةِ
حَقِّقْ الأمرَ تسترحْ : فقريبٌ من معانى السقوطِ معنى النجاةِ ؟!

* * *

بصّرونى بما أردتم ، أصفهُ وأُوانى بكلّ لحنٍ مُوانى
هذه ظلمةٌ ، ويأسٌ مُنيخٌ ودُخانٌ على ماضٍ وآتِ
ورياحُ الهموم تنعَبُ فى الأفـــــقِ ، وتجرى إلىّ مصطرخاتِ !
وطيوفُ الأمى تناوَحُ حَوْلى مُنذراتٍ ، فأبعدوا مُنذراتى !
ثم إنى — ولم أفُزْ برجاءٍ — جلّلَ الفوْتُ مطمحى بافتئاتِ
حاضرى فى الشقاء يربط ماضىً ومستقبلى بحبل الشّكاةِ
وأمانىّ فى السما قذفاتٌ هائماتٌ ، وغيرُ ملتقيـــاتِ
كلُّ حظّى لودْقِها نظراتٌ ثم أطوى لبُعــدِها نظراتى !
أثِمَ الحظُّ واستحلّ حرامى كيف لم أحتسِبْهُ فى زفراتى ؟
ليس بالشاعر الأمينِ كذوب عدّ ما لم يَنلهُ من نزعاتِ
إنما الشاعرُ الأمينُ رسولٌ بلّغ الحقّ فى الشجا والهناةِ
نحن فى مَعشرٍ أضلّهم البهرَجُ ، ما لى وما لشأن الغواةِ !
لم أنافقْ ، فكيفَ أنتقضُ اليو مَ على خلّتى ، وأنكرُ ذاتى ؟!

* * *

لم أقلْ ما أقولُ يوماً ليرضوْا أو ليأسَوْا ، فما أبالى فلاتى
لو أردتُ النفاقَ قلتُ مقالاً سار مَسْرَى العبيرِ فى النسماتِ
غير أنى — وقد أضرّ بىَ الغِشُّ — حقرْتُ النفاقَ دون لداتى
والنفاقُ الحياةُ : إن يردِ المرْ ءُ حياةً تلذّ حتى الوفاةِ
مَن يكن خانهُ الزمانُ فلا جاهَ ، ولا صِهرَ عَمّ بالبركاتِ :
فالنفاقُ النفاقُ يُبلغهُ الذّرْ وَةَ والمجدَ فى مَدى لحظات !

بعْ إن اسطعت صِرْفَ طبعك سمحاً تشترِ الحظ غارقاً فى الثباتِ !

* * *

يا ديارا أضاع مِثلىَ فيها مَسحةُ الفقر فى اعتداد الأباةِ
بدّليني ببعض علمىَ ثوْباً نابهَ اللوْنِ ، ضافىَ الجنباتِ
وامنحيني ببعض خُلقىَ مالاً قاهراً فى الأنام كالمعجزاتِ
سوف تُلفينني وحَوْلىَ قومٌ أكبروني على مَعيبِ صفاتى
فأنا العالم الأديبُ على جَهـــلىَ بَعدُ ، النبيلُ فى مخزياتى !
ثم إمّا سقطتُ هبّوا جميعاً كرّموني وقدّسوا سَقطاتى !
مالأ القومُ ، إنما كرموني والمرامى بعيدةٌ عن سماتى
لوْ حُبيتُ الغباءَ عِشتُ سعيداً لا أرى المضحكاتِ كالمبكياتِ !

* * *

داعىَ الشعر ! ما لِمصرَ وللشعر ، وفيها يطاحُ بالحرُماتِ ؟
والخفافيشُ حين تمشى وتنزو عُذرها مؤلمٌ من المؤلماتِ
نحن قومٌ نُعِزُّ منزلة الجا رِ وحتى بأحرَج الأوقاتِ
لا نبيعُ الجِوَارَ والأملَ السمحَ ونشرى محارمَ المكرُماتِ
كلُّ جارٍ بأرضنا أستاذٌ ما الذى تبتغى من البيّناتِ ؟
مَنْ يَدُلُّ الشبابَ أنّ الى الشهْرَةِ باباً لهم من الهيّناتِ ؟
ذيلوا شدوَكم بتونس والشا مِ وحلفا ، ونحو تلك الجهاتِ
أوْ رِدوا منهلَ المروق ونادوا إن أردتم باسْمج الفلسفاتِ
ثم قولوا : « الجديد » إن عذل النا سُ ، وغنوا بمطلق الشهواتِ
أوْ فكونوا بطانةَ لكبيرٍ واعبدوه : يُنيلكم الرغباتِ
لا أريدُ الجزاء فانطلقوا الآ ن بنصحٍ مجربٍ مِن ثقاتِ !

* * *

إيهِ يا شعرُ كم يلذُّ بكَ الوحيُ ! فصوّر لنا عن الإمّعاتِ !

كلّ فتىً يعود أفتكَ بالشر ق ومصرٍ منَ الأذى فى اللّهاةِ
رجَّعَ الغربُ بين جنبيْهِ صوْتاً أبيضَ الوقع ، أسودَ المشتهاةِ
أرقصَ الحبُّ فوق رأس أبيه وعلى مجد كلّ أسبق عاتِ
مِنْ بهاليلَ كلهم نفحَ الغر بَ بريقَ القنا وريقَ الدَّواةِ !
خدّروه ، فنبّهوه ، فكلُّ العا رِ أن نستسيغ ثأرَ العُداةِ
إنّ منْ يحقر الوراثة فيه : مات بالذُّلّ قبل يوم المماتِ !

* * *

خلقَ النهضةَ الحقيقة فى العا لم ذا الشرقُ ، فاهتفوا بالصّلاةِ
مَهبطُ الوحى ، مبعثُ النور والعِلمِ ونبعُ الهدى ، وبيتُ الدُّعاةِ
منه موسى ، ومنه عيسى وطه مُطلِقُ الفكر ، مُعلِنُ النهضاتِ
قل لهيجو ، وشكسبير ودانتى وأناتول من سُقاة النواةِ :
هاتِ ذكرَ الرِّجال مُذْ خُلِقَ التا ريخُ فى مصرَ غُرّةَ الشرقِ ! هاتِ !
واذكر العزَّ والفخار وصدق الجا ه ، والعلم فى الفتى والفتاةِ
ثم ذكّر به الفُقاةَ من النا س وعدّ المثالب المفتراةِ
أيُّها المدّعى هنالك مجداً ! ها هنا البحرُ ، ما غناءُ القناةِ ؟
ونَحتْنى شذا مساعى جدودى هاتِ نخبَ العُلا ودوِّرْ سقاتى !

* * *

أنت يا مَنْ حماتَ مصحف هَيْنى مقبلاً مدبراً بغير أناةِ
يلتوى بالكلام فوك فما ند رى الذى لُكتَهُ من الكلماتِ
لُكنةٌ زادها تناولك « العمـ ـد » بمضغٍ ولا كمضغ الفُتاتِ
كل ذكرٍ مؤنّثٍ من تليدٍ أو طريف سحبتَ فى الشُّرّفاتِ
مَنْ يكنْ جاهلا بتاريخ قومٍ أنجبوهُ على طويل الشتاتِ
حَقّ ألا يكون حجةَ دعوى واضطلاعٍ بثورةٍ وافتئاتِ

وَيْكَ ! مَنْ هذه الخليلةُ ؟ والفطرُ به الحسنُ أروعُ القسماتِ !
حسنٌ أنثى قد استفاض من القدْ س إلى القدس ، غير ذى شبهاتِ !
أىُّ إثمٍ أتيتَ فى حُرَمِ النو ر ، وعارٍ حملتَ فى الظلماتِ ؟
عمرك الله ! هبْ أباك مسيئاً هل ترى نقصهُ من الحسناتِ ؟ !
شرُّ ما يُحمَلُ العقوقُ إذا كا ن مِنَ ابنٍ مؤمَّلٍ فى الحُماةِ !

* * *

مَنْ يكن « جامداً » يُطارَدُ مثلى : حبذا جامدٌ على الطيباتِ !
ذى يدا شاعرٍ تزكى عن الحقْ قِ على علمه بنقدِ الزكاةِ
سكنَ الريفَ والمدائنَ فرداً ناسكاً ، لاجئاً الى الصومعاتِ
ليس يَعنيه بعدُ إن رَضِىَ النا سُ ، وإن يسخطوا بأقسى أداةِ
قد وعدتُ السماءَ من كلِّ قلبى وعْدَ حُرٍّ وَفى بكلِّ العِدَاتِ

محمد زكى ابراهيم

بؤس الشرف

يا ذلةَ العيش بين البؤسِ والشرفِ عيشٌ هو الموتُ فى الحرمانِ والتلفِ
إذا تناولتُ نجماً فى محاولةٍ رأيتُه حجراً صفوانَ من خزفِ
ولو كشفتُ كنوزَ الأرض ما ظفرت يداى منها بغير الحزنِ والأسفِ
لعنتَ يا ربِّ غيرى واغتفرت له هلاّ غفرت لشاكٍ غير مقترفِ
أعيشُ فى أمة ضاقت رغائبها بالدُّرِّ وانصرفت حمالة الصدفِ
يمضى العبيدُ بها فى كل ناحيةٍ محملين من الأنعام والتحفِ
اذا رغبت عبيداً فالتمس ملأ فى مصر يحيون كالأنعام بالعلفِ
أطعمت يا ربِّ هذى الناس من ذهبٍ ونحن قيد الطوى نشتاق للرُّغُفِ
وكنتُ أولَ مَن يشدو لمؤتلفٍ فبتُّ آخرَ مَنْ يرثى لمختلفِ

وضمّنى الدهرُ والأمواتُ فى جدثٍ ... نرجو المراحمَ من بادٍ ومعتكفِ
أبى ! وأين أبى حياً ووالدتى ؟ ... لقد حسبتهما فى صالح السلفِ
فالبؤسُ أبعدَ عنى كلَّ مقتربٍ ... حزناً وقارب منى كلَّ منصرفِ
وردّنى فى الصبا شيخاً يضيق به ... عطفَ القلوب سوى هاوٍ ومحترفِ
وأطمع الوغدَ فى تمثيل متربتى ... وأركب النوك فوق الصدر والكتفِ
أحييتُ بالشعر أمواتاً فأهلكنى ... لأنَّ سلمى به حربٌ لمنتصفِ
لاهُمَّ ضاع شبابى وانتهى أجلى ... ولم أذق نهلةً من كوثر الشرفِ
معيشتى صدفةٌ والموتُ أرقبُه ... مهما يطل زمنى من عثرةِ الصَّدفِ !

عبد المجيد الريب

يا ليتها

(مختارة)

يا ليتها نظرتْ للنار فى كبدى ... الدمعُ يطفئها والحبُّ يذكيها
منها أغارُ عليها فى تلفُّتها ... كذاك منى عليها فى تثنيها
إنْ كان فى العمر أيامٌ مؤجَّلةٌ ... فنيتى أن أظلَّ العمرَ أفديها

ابراهيم صبيح العقاد